ان الكرام قليل

تحت العنوان أعلاه أبنت جريدة تونسية رجلاً عظيماً حقيق بأن يقال له كريم على حين الكرام قليل، ومحسن على حين المحسنون قليل، ومصلح على حين المصلحون قليل، وعامل بكده لا من كيس غيره على حين العاملون قليل، كل هذا يحق أن يوصف به رجل افريقي وفي خصوص أفريقيا الشمالية وصفاً دقيقاً حقيقياً لا من خداع العناوين، هذا الرجل الذي أسس لامته مجداً وفخراً بكده بحلال مال له بال اكتسبه بالقرش بل بالصوردي والصانطيم كسب عناء وشقاء، واقتصاد وأنفقه بالمليون في سبيل النفع العام، في سبيل حياة الامة الافريقية، في سبيل الاحسان لبني الانسان، في سبيل احياء القرآن واحياء الفضيلة، في سبيل احياء العربية والعروبة، في سبيل الوطنية الحقة في سبيل الله خالصاً حقا، لا رياء ولا مراء ولا طنطنة ولا فخفخة ولا جعجعة ولا مهرجان، لا في سبيل الرفه الفتان والفخر الكاذب والغناء والقيان، والملاذ الضارة والفسوق والعصيان وسبيل الشيطان دون امتنان، ذلك هو المفضال حقيقة سيدنا ومولانا محمد بن علي التريكي خير رجل انجبته مدينة سوسة بالقطر التونسي، ولنا أن نقول خير رجل رزئت به أفريقية الشمالية في هذا الاوان، هذا الرجل الذي حرم ورثته من غنى عظيم وجعله لاولاد المسلمين.

هذا الرجل كان فقيراً من عائلة ماجدة عضها الدهر بنابه، ولما دخل معترك الحياة دخل بفرس هو كل مايملك فاشتغل يسوق به عربة وسمت به همته وايمانه فصار يكتسب بها قوته وما يقتصده ففتح الله له أبواب فضله بمفتاح النية الصادقة ولم يمض عليه زمن طويل حتى صار الناس يعملون تحت نظره واشرافه وبماله فاتسعت مكاسبه اتساعاً عظيماً من حلال لانه وقف مع أوامر الله فلم يتعامل بربى ولا اقترض ولا اقرض بفائدة فنمى خيره حتى حسده غيره، وصارت ثروته تعد بملايين، ثم ان الله جعل قلبه معلقاً بالقرآن العظيم الذي هو فخر الاسلام والعرب ونجاح كل أرب ومنبع الفضيلة وسيف الله المصلة على كل رذيلة فكان يبكي لسماعه ويترنم لتلاوته وهزته الاريحية الاسلامية الى احياء ما اندثر من معالمه وافشاء مكارمه فشيد بسوسة مدرسة قرآنية لها شأن عظيم قدرت نفقتها بمليون فرنك على نسق عصري بهيج أنفق عليها من ماله وعرق جبينه وكد يمينه وأعانته زوجه وشقيقتها على مهمته وحبسها بجميع ما حولها مع دار اخرى حذوها على أهل بلده وهي الآن تأوي خمسمائة تلميذ ووظف لادارة المدرسة قريبه الشيخ التهامي عمار من أعلام العلماء المستنيرين ورئيس جمعية المدارس القرآنية ولها من الدخل ما يقوم باصلاحها لدى الاقتضاء.

ولقد كان الفقيد مع ذلك مشتهراً باطعام الطعام على الدوام وله من المكاوم الحميدة ما يضيق عن استيعابه المقام، فمثل هذا الرجل تبكي وترثى بكل قلم وكل لسان، مثل هذا الرجل حقيق أن يلقب فخر الشمال الافريقي، مثل هذا الرجل يكون له الخلود التاريخي زيادة عن الخلود الاخروي، ومثله في القطر التونسي كثير، ففي يونس أمين بائع السمن والزيت حبس أيضاً مدرسة قرآنية وحبس عليها ريعاً وانفق عليها من ماله شيئاً كثيراً ولم يكن من المثريين الكبار فاستحق اعتناء الباي به وعلق على صدره وسام الشرف وذهب الباي بنفسه لمدرسته وزارها تنشيطاً لامثاله، وفي صفاقس رجل آخر فعل مثل فعله، وفي غيرها من مدن القطر التونسي الشقيق، ونحن بدورنا يحق أن ننوه بفخر الرباط بل فخر المغرب المرحوم السيد الحاج محمد جسوس الذي تكرم ببقعة أرض شيدت فوقها مدرسة ابتدائية عربية فرنسية وبيع بقية الارض الفاضلة فكان منها الانفاق على المدرسة، بمثل هذا يفتخر الرباط بل يفتخر المغرب.

اذكر القراء في مقالتي السابقة نشرتها على هذه المجلة في رجب ١٣٥٣ عنوانها «المحسنون الى الوطن المغربي حقيقة» وفيها نوهت بالمحسن العظيم احمد باشا المنشاوي المصري الذي خلد آثاراً في بناء صروح العلم والدين بمصر نسبتها الى ما خلده الافريقيون كبحر طم على القرى ولكن أفريقيا في مستهل حياتها العلمية الحديثة فلا نستصغر ما يشيدون ولا ما تجود به أكفهم على قلة ذات يدهم، وهذه المقالة الثانية تذكير لما اغفلناه من المكرمة الجسوسية الرباطية هناك لكون أمرها كان اذ ذاك في طور التكوين كما اننا لا نغفل مكرمة باشا الحمراء فانه حبس دارين على مدرسة عربية فرنسية تضم ما ينيف على مائة تلميذ، فنشكر همته العالية ونرجو أن يؤسس بدلها مدرسة تليق بمقامه في احد بساتينة الغناء على نسق صحي وعصري متين ويحبس عليها ريعاً يقوم بنفقتها كما كان وعد والله لا يضيع اجر المحسنين، ولمثل هذا فليعمل العاملون.

ع. م. ح.

— ومن جملة المحسنين الابرار أيضاً من تونس سيدي الحاج علي صوة وسيدي الحاج قاسم بن يوسف وسيدي سعد بن علي الدغري الذين ذكرناهم في مقالنا المتعلق بـ«طلبة شمال افريقيا»، ومن الجزائر سيدي محفوظ الزدك، ومن المغرب سيدي الحاج أحمد بلافريج الذي باع املاكه لاتمام المدرسة الجسوسية.